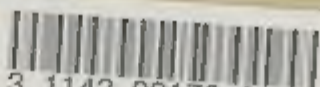


AL-GHALAYINI

AL-DIN WA-AL-'ILM

LA  
99  
.G5  
c.1



3 1142 00179 6682

DATE DUE

826415 FEB 14 1977

EXPIRED FEB 7 1977

DEMCO 35-287

# الدِّينُ وَالْعَالَمُ

وَهَلْ يُشَايِي الدِّينَ الْعَالَمُ؟

---

« الدين دواء » والعالمُ فداء ،  
وليس الدواء يفتن عن الفداء ،  
ولا الفداء يفتن عن الدواء .  
( الامام الغزالي )

---

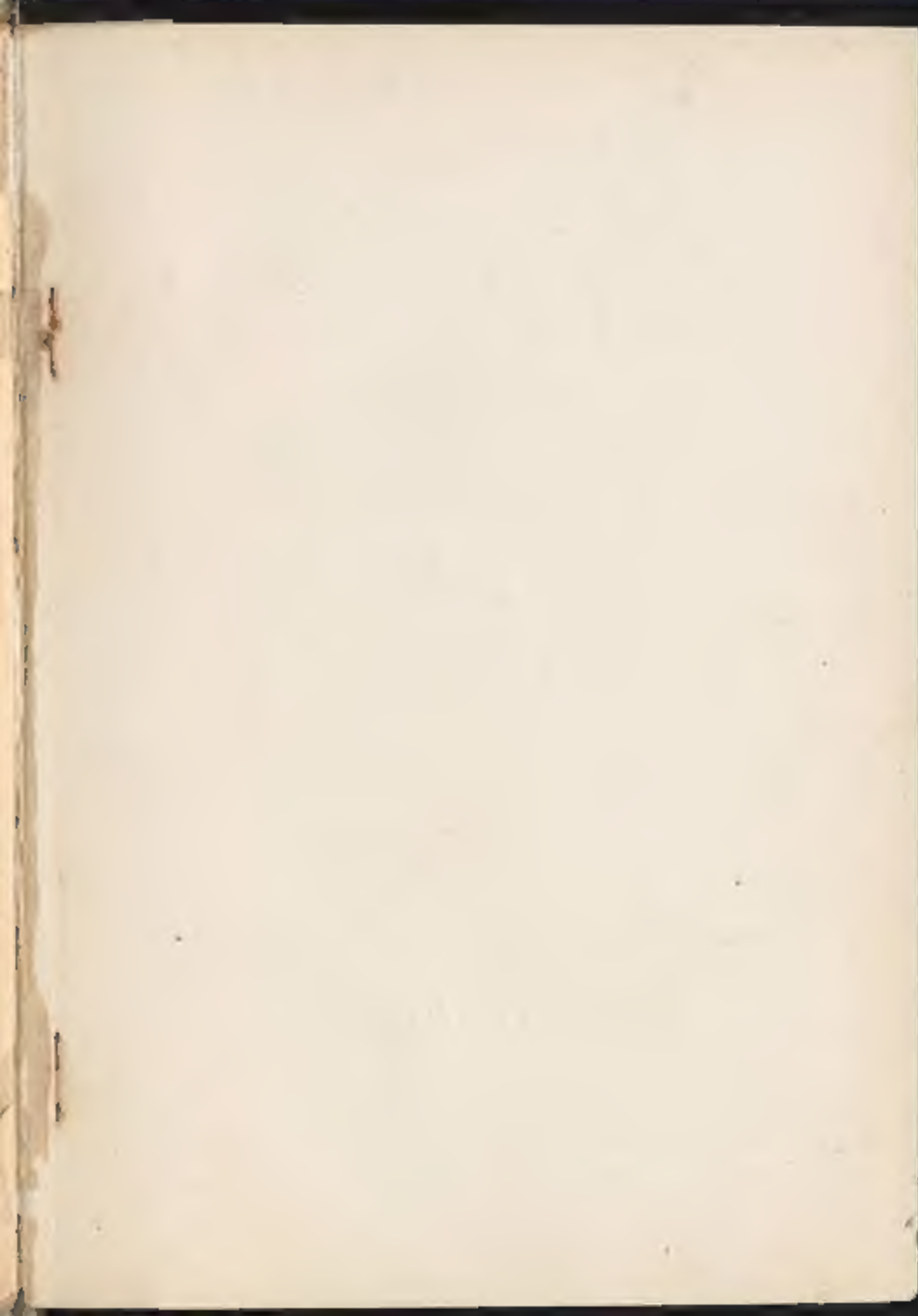
تأليف

السَّيِّحُ مُصْطَفَى الْغُلَايْنِي

« تفهده الله برحمته »

تشره

الكتبة الاعلى



al-Ghalāyīnī, Muṣṭafā

# الدِّينُ وَالْعِلْمُ

وَهَلْ يُنَايِي الدِّينَ الْعِلْمُ؟

« الدين دواء ، والعلم فساد »  
« ليس الدواء بمن من الفناء »  
« ولا الفناء بمن عن الدواء »  
( الامام الغزالي )


/al-Dīn wa-al-‘ilm/

تأليف

الشيخ مصطفى الغلاييني

« تعدده الله برحمته »

1931



LA

99

G5

C-1

بسم الله الرحمن الرحيم

## الدين والعلم

### ١- الاصول والهدى

إن الألفة ربيبة الوراقة ،

فشخص نشأ على أخلاق وعادات وعقائد نشأ عليها أبواه ،  
وربته عليها بيئته ، ليس في مقدور الإنسان ينتزع ما في صدره من  
عاطفة يحن بها إلى مألوفه ، ويذود عما اعتقده من عقيدة ،  
ونشأ عليه من خلق ، وألفه من عادة .

وأمة نبتت سائرة في طريق حياتها سيراً ربّاهما عليه كروور  
الأعوام ، ومرار الأجيال ، حتى كوّنت لها تلك المدد المعرفة  
في القدم دستوراً كان لها نظاماً تطبقه غير مختارة ، كالألات  
الصماء ، يديرها البخار أو الكهرباء ، ولا ارادة لها في سيرها  
ولا اختيار .



من الصعب جداً أن تعتمد الى ذلك الشخص — الذي  
تأصلت فيه عاداته واخلاقه وعقائده — فتحمله على ترك ما ألفه  
حلاً . وقد يكون من السهل أن تُفرغ له النصيح في قوالب لا  
ينفر منها شديد النفور ، وتمزج له جدك بهزله ، فلا يراه غريباً  
كل الغرابية عن مألوفه ، وتخلع على حديدك هلاً من قديمه ،  
أو على قديمه شقاً من جديدك ، حتى يألف نموذجاً مما تريد ان تحمله  
عليه . ولا يكون ذلك إلا بالمألوف من القول ، والمعهود من  
النصيحة ، والجذاب من الأساليب العملية النافعة .

وأصعب من ذلك ان تعتمد الى تلك الأمة ، تُسأط  
على جوانبها معاول الهدم ، وتعمل في أركانها فؤوس التخريب ،  
ثم تبقى هادئة ساكنة ، لا تتور على من يريد هدمها ، ولا تعتمد  
الى دفع شره وأذاه عنها . وأسهل من هذا أن تنتحي — في تحطيم  
اغلالها ، وكشف الرّين عن قلوبها — سبيل الحكمة ، فتسير  
بها سيراً بطيئاً ، يُبعدها عما ألفته ، ويُقرّبها الى ما يراد تربيتها  
عليه ، رويداً رويداً .

ولا يطمئن من يقودها في ان تتزع عنها ما كسبته بالوراثة  
البعيدة العهد ، في أيام أو شهور أو سنين . فذلك ليس في الامكان



أن يكون . بل لابد من الصبر على هذه العقبات ، صبر  
الأبطال في ميدان التزال ، بل صبر الجبال الراسيات ، على  
عوادي النكبات .

ومن هنا ضل السبيل كثير ممن نصبوا أنفسهم لهذا الامر  
المهم . فهم يريدون ان يتمجلوا الثمرات قبل أوانها ، ليدوقوا  
نتائج أفكارهم ومسابيحهم ، وهم أحياء . وقد عفلوا عن ان اعمار  
الأمم لا تقاس بالأعوام ، وانما تقاس بالأجيال والأحقاب .  
فعادت مساعيتهم خائبة ، ورجعت أمنيتهم خاسرة . وكذلك  
جزاء المستعجلين .

هذا كلامنا صريحاً مع هذه الفئة ، التي نعتقد انها خالصة  
النية ، لكنها أخطأت طريق الوصول الى غايتها التي تسعى اليها ،  
فضأت سبيل الصواب في مساعيها .

وهناك فئة لا ترجو إلا هدم الأمة بمجيرها وبمجرها ،  
وخيرها وشرها ، لتصبغها بصيغة غير صيغتها ، وتخلعها بأخلاق  
غير أخلاقها . فهي تريد أن تخلعها خلعة جديدة ينسبها كل مواضعها ،  
ويحول بينها وبين دينها وأخلاقها وعاداتها ، حتى ما كان من تلك  
العادات والأخلاق فاضلاً حسناً . وكثيرة هي تلك الأخلاق

الطيبة والعادات الحسنة . وقد جهلوا ، أو تجاهلوا ، أن بلوغ هذا  
الأمَل ضربٌ من الحال ، أو هو الحال بعينه . فلكل قوم مألوف  
من عاداتهم وأخلاقهم . ولكل أمة تراثٌ من بيئتها . ولكل  
شعب دمٌ يجري في عروقه ، لا يقوى على تغيير خصائصه إلا  
الدهور ، تسعدُها الدهور .

هذه الفئة من الناس ، لا تزال دأبها في إفساد نفوس الشبان  
والشابات ، وبثِّ الإلحاد فيهم ، وتهوين أمر الأخلاق الفاضلة  
عليهم ، وتسهيل مآقي ما لا يتفق هو ودينهم وأخلاقهم وآدابهم  
القومية . فإذا ما آنسوا من أحد الاسترسال اليهم ، ودخلوه في  
مهواة الضلال ، حتى يستولي عليه الجهال ، ويضيع ما بقي فيه  
من نالة إيمان أو خلق طيب . وإذا ما رأوا أحداً لم يكثرث  
لدعاياتهم ، ولم تؤثر فيه أهواؤهم ، وصمّوه بصمة الحمجية ،  
وخلعوا عليه رداء الرجعية ، وسلبوه كل فضيلة ، وأبسوه كل  
رذيلة . وأولئك هم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً .

إن هذه الفئة من الناس ، منها ما هو مجروف بتيار التقليد  
الاعمى ، فهو يرى كل ما عليه الناس في بلاد الغرب هدىً  
وصواباً . وكثيرٌ من هؤلاء لم يروا — أو لم يسمعوا — إلا قسوراً

وحرفتهم الشهوات ، وبهاوجّ ذريتها النزعات . ولو قصدت الى  
ديار القوم ، باحثاً بحكّ منقب ، لرأيت في حاسب هذه الرذائل  
أخلاقاً غريبة ، وعادات عالية ، واضطرتّ حيل هذا الالحاد  
إيماناً صادقاً ، وتدبيراً ناطقاً .

وقد رأينا من الدس من لم يحدثنا إلا عن علوم لقوم  
وتقدّمهم في الصناعات وكل مقومات الحياة وال عمران ، ثم عا  
هم عليه من الأخلاق الناضلة ، والسعد عن رذائل هذه الحياة .  
ورأينا منهم من لم يحدثنا إلا عن مراقصهم ، ونؤد  
فجورهم ، وكثرة حاناتهم ، وانغماسهم في اللهو واللعب  
والمسوق والمصيان ، بأسلوب يستزل المضّم ، ويستهووي  
الأفئدة الابية .

فقدا : اولئك شباب دهبوا الى ديار الغرب ، فلم يجدوا  
إلا عما ذهبوا لاجله : من تحصيل علم او صناعة يتعمنون بها  
ويعلمون . وهؤلاء شباب كان الهدف الذي يرمون اليه من  
سفرهم الى تلك الديار - أن يرووا غلماً شهواتهم في بؤر تضيع  
فيها الاخلاق ، وتدوب فيها لاموال ، وأنضول فيها هم الرحال  
فا أبعد المرق بين الغيتين ا

ومن الهدّامين فئة مستأجرة لا حكاية في أمّتها ودينها وأخلاقها  
ولفتها . فهي تستوحى فيما نعمه من استأجرها ، وتسير على برامج  
سُهرت في تحويرها الليال ، ونذلت في سبيل إذاعتها الأموال ،  
واستعين على تنفيذها بالناس . والرجال ، وحمي القاتلون بها  
والقاتلات ، بكل ظاهر وباطن من اقوى والحايات . فلا تزال  
تستعين على نفث سمومها بالأعرار من شبان الأُمّة ، الذين لم  
تهذبهم التربية السليمة ، اسندة على دعائم الدين الصحيح والأخلاق  
الطيبة المرضية .

تستغلّ هذه لعنة الهدّامة سداحة شياطين وشواتنا - وهم  
لا يزالون في أدوار الطلب فتوحى اليهم بحرف القول عرودا ،  
تتقضّ به على عقائدهم ، وتصرّوهم بهرجة عن أخلاقهم ،  
فينشثون على الاستهانة بالآيين ، وكل ما يصل به من خلق  
فاضل ، ومزية كاملة .

وقد زاد الطين بلة ، أن من أقاموا أنفسهم حُرّاً أساً على  
حصون الدين المسيعة ، منهم لعاطف في نومه ، لا يدري ما تفعل  
الأيام بدينه وأُمّته ، وهم من لم يتعلم من الدين إلا ظواهره لا  
تُسمّن ولا تُغني من جوع . فإذا سُئل عن امر من العلم الحاضر ،

يتعارض في ظاهر الأمر مع الدين ، أرعى وأزبد ، وكفر  
 لسائل ، أو مدّعه ، أو فسقه . والسائل المسكين ، غاريد - في  
 الألعاب - أن يهتدي الى وجه الصواب ، ويعرف الحق من  
 لباطل . ولكن أتى المَسْئُولُ أن يدرك حقيقة المسألة ، فيُحييه  
 بما يشفي غَلْتَهُ ؟ وما هو ناعيد - فيما يُسأل - من السائل ؟  
 فيعمد الى تغطية جهله بالعلم ، والكفير والمسكر من القول . وما  
 هكذا يحكون شأن العلماء ، وبخاصة علماء الدين ، الموكول  
 بهم دفع الشبهة عنه ، وحرسته وحياطته بالأدلة والبراهين .  
 ومن هذا تردّد الشكوك تدّ رأ الى نفوس لاشئيين ولشئت ،  
 ويطمس سيل الخلاص ، حتى يحتاج للبلاد ، ويهلك العباد .

ومن هنا ينشأ التعادي بين العلم والدين . وما هما إلا أخوان ،  
 ينتحي كل واحد منهما ناحية يخدم بها الأمة التي يتعرعان فيها ،  
 ثم يلتقيان عند هدف المصلحة العامة .

## (٢) موضوع الربوبية وموضوع العلم

لدين : وضع آلهي سائق لتدوي العقول السليمة الى ما  
 فيه خيرهم في دنياهم وآخرتهم . والاكوان - التي هي  
 موضوع العلم - أوصاع آلهية ، فلا يتخالفان ، وانما يتخالف

أهلوهما ويتطاحون . ولو ترك كل فريق العصية الجاهلية  
حاشاً ، وطرح لتعصب المردى أرضاً ، لتصافح الفريقان ،  
وعمل كل واحد منها - في دأبه - على ما ينجي الأمة ،  
ويجملها سعيدة في دنياها وآخرتها . ولكن في كل فريق فئة  
لها نزعات ، وفي صدرها فرعات . ومن ههنا أتى الصراع بين  
العلم والدين . فشنع كل قبيل على الآخر ، وسقمت كل  
طائفة دأى الأخرى ، فضل لباس من هؤلاء ، وأولئك .

للعلم أن يسير في سبيله ، من غير أن يتعرض للدين وما  
جاء به . ف الدين إلا نعمة آلهية ، نعمة الائمة ، وتروي  
على الصدور ، وتأخذ بيد الإنسان الى مورد الفضيلة ،  
وتصافه عن ما ينز الرذيلة ، وتدفعه الى فعل الخيرات ،  
وتصرفه عن ما في المنكرات ، وتحمله على معالي الخصال ،  
وترأيه عن سفساف الحلال .

والدين أن يسير في سبيله داعياً - بالمعروف والمنوعظة  
الحسنة - الى ما ينقى القلوب من الشوائب ويفسها من  
المعائب ، ويطهرها من الأدناس ، ويقي عنها خبث الأرجاس  
له كل ذلك ، من غير أن يتعرض للعلم ونتائج العقول ،

وَيَحُولُ دُونَ تَقَدُّمِ الْإِنْسَانِ فِي أَعْمَالِهِ وَحَاجَاتِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، فَمَا  
 الْعِلْمُ إِلَّا نُورٌ يُهْتَدَى بِهِ فِي تَفْسِيرِ آيَاتِ اللَّهِ فِي الْإِكْوَانِ ، وَفِي  
 كِتَابِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رَسُولِهِ لِهَدَايَةِ خَلْقِهِ ، وَقُوَّةٌ لَوْ اسْتَحْدَمَهَا  
 عَمَّا دُونَ الدِّينِ - فَأَحْسِنُوا اسْتِحْدَامَهَا - لَتَقَدَّسُوا بِهَا عَلَى نَرَعَاتِ  
 الصُّدُورِ وَسِلَاحٌ يَدُودُونَ بِهِ عَنِ حِيَاضِ الدِّينِ ، وَدُرْعٌ  
 يَتَّقُونَ بِهِ هَمَحِمَاتِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَغَرَوَاتِ الْخَوَارِجِ الْهَدَامِينَ .  
 الدِّينُ طَرِيقُ قَوْمٍ ، وَالْعِلْمُ طَرِيقُ قَوْمٍ . وَغَايَةُ الْأَوَّلِ تَطْهِيرُ  
 النَّفْسِ ، وَغَايَةُ الْآخِرِ كَشْفُ الْأَنْفِ . فَكَلَامُهُمَا يَقُودَانِ الْمَرْءَ  
 إِلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالْعَادَةُ . فَبِهِذَا التَّعَادِي ١٩ وَمَا هَذَا  
 الْخِلَافُ ٢٠ وَمَا هَذَا التَّطَاهُرُ ٢١ ؟

وَالدِّينُ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الْفَرَاغِي - دَوَاءٌ ، وَلَعَلَّ عَذَابَ ،  
 وَلَيْسَ الدَّوَاءُ مَعْنَى عَنِ الْعَذَابِ ، وَلَيْسَ الْعَذَابُ مَعْنَى عَنِ الدَّوَاءِ .  
 حَاءُ الدِّينِ لِحُلِّ نَاسٍ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَى الْإِعْتِرَافِ بِوُجُودِ الْخَالِقِ  
 سَجْدَتُهُ ، وَتَوْحِيدُهُ ، وَتَقْدِيرُهُ عَمَّا لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنْهُ ، عَزَّ وَجَدَّ .  
 وَمَتَى عَقَلَ الْإِنْسَانُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ - الَّتِي لَا يَأْتِيهَا النَّاصِ مِنْ  
 بَيْنِ يَدَيْهَا وَلَا خَفِيفُهَا - فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَطَّعَ إِلَى مَا وَرَاءَهَا مِنَ الْأَعْمَالِ  
 الَّتِي تَرْضَى خَالِقَهُ ، فَيَسْطَرَّ فِي الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ ، فَيَعْلَمُ مِنْهَا أَنَّ



عبادته سبحانه على الوجه اللائق بجلاله ، هي أقدمُ المراتب  
التي تُدنيه اليه . ثم يعلم بالممارسة أن هذه العبادة سببٌ لتَهذيب  
نفسه ، وحثها على معالي الأمور ومكارم الاخلاق .

فالدين ، إما جاء بتقرير هذه الحقائق ونشأ في الناس ، حتى  
تُشرَّب بها النفوس ، وتتغذى به الارواح ، وتغياها لعقول ،  
وم يحى به التقرير الحقائق العلمية ، وشرح الاصول العلمية ، لان  
الدين عامٌ يشمل طبقات الامة ، فلا بد أن يكون موضوعه  
عاماً يسهل تساوله على الناس كافة . وموضوع العلوم الطبيعية  
وله ملكية وعبرها ، مما لا تقوله الافهام كلها ، ولا تُحيط به  
العقول جميعها . لذلك رُى تساملاً في بعض التعبير الوارد في  
الكتب المأزلة ، تسهلاً على غير ارباب العقول السامية .

نعم جاء في بعض الآيات إشارات الى بعض المسائل  
الملكوية والعلمية ، ولكن بس القصود منها إثبات حقيقة أو  
نفي غيرها . وثنا لغاية منها الاستدلال على عظمة الصانع  
وعظيم حكمته ، وتوسيه الافكار الى تلك المسائل ، يفوق  
عليها من كان أهلاً لها ، ويستخرج الآتي الحكمة في محور  
هذه العوالم ، الناصقة بأن لها موحداً زلياً يسيرونها في نظام  
الحكمة ، ويديرها على محور العلم لأزلي .

وليس في الدين ما ينافي العلم ، ولا ما يباهض ما أثبتته البرهان الماصع ، وقام عليه الدليل القاطع . بل إن فيه إشارات تدعّمه وتثبت رجحان ما يذهب إليه . ومن قال غير ذلك ، فما عليه إلا الدليل الذي لا يدحض ، ولا فاقول المحرّد عن الحجة الدامغة مردود على قائله .

نرى كثيراً من علماء الدين في العابر والحاضر قد اتقوا العلوم الفلسفية والملكية ولطيفية بأنواعها ، وحشوا الناس على تعلمها ، لأننا نريد المؤمن إيماناً ، ونحمّله على الادّعاء بالبرهان إن الدين هو خير ما أخرج للناس . فلو كان الدين يناهض هذه العلوم ، لمبدوّه ظهرياً . ولكمهم عاموا أنها راحة عن أسرار هذا الكون ، دأّة على ما لصنعه من القوة والعظمة ، فاردّدوا بها إيماناً مع إيمانهم ، وأعدوها سلاحاً يذودون به الملحدين عن حياض الدين .

العلوم بحملتها آيات نامقة ، وبراهين واضحة ، ودلائل شاهدة ، تفصح بأبلغ بيان ، وتدل بأحلى برهان ، على ما في هذه الأكوان من غريب الصنع واتقان الخلق . ففي

أحقّر الأشياء - لله أعظمها - يرى الإنسان من المدهشات  
 ما يحمله على طاعة لرأس إمام مُدعيا 'مُضيم' و يخفّره للتسليم  
 بالحقّة الدائمة بأن لهذا الكون حلقاً مُدعياً 'سن' له من الأنظمة  
 ما لم يُقدّر على خرقه إلا هو : « كل شيء عدده بمقدار » .  
 وهذا هو سرّ القدر الوارد على أسنة لشرائع الآلهية . وهو  
 سرّ دقيق ، تخفي الآلى عن أنار الله وؤاده ، وهداه رشده .  
 وكتفي منه - في هذا المقام - بهذا التلميح ، الذي هو عند  
 العاقل الفطن أوضح تصريح .

إذا كان شأن العلوم ما ذكرنا ، فهل يُمكن أن يكون الدين  
 الآلهي ما قضّا لها ، أو ما هضاً سادتها وغاياتها . ؟

إن الدين يأمر الإنسان باسمي كسب ما يحمله سعيه في  
 دنياه وآخرته :

« دنّا آت في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة  
 - ولا تنس نصيبك من الدنيا - اعمل لديالك كأنك تعيش  
 أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ، ليس بخير كم من ترك  
 دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه ، حتى يُصيب منها جميعاً » .  
 واية سعادة في الدنيا خير من الاطلاع على أسرار

الكائنات ومعرفة أحوالها وتقديراتها ، ثم الالتفات عما علم ،  
واستخدام الطبيعة وتسخيرها ، لتكون دهن اشارته وطوع  
أمره ١٩

الذين يقول : « قل انظروا ماذا في السموات والأرض »  
ويقول : « إن في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل  
والنهار ، لآيات لأولي الأنساب » الذين يذكرون الله قياماً  
وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات  
والأرض : ربنا ما خلقت هذا باطلاً ، سبحانه ، فقنا عذاب  
النار .

ويقول : « إن في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل  
والنهار ، والصلوات التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل  
الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها  
من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء  
والأرض ، لآيات لقوم يعقلون » .

ويقول : « ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما  
في الأرض ، وأنسبع عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ١٩ » .  
وانت تعلم أن التسخير لا يبدله من وسائل وأسباب

يُستعان بها على تصريف ما سخره الله لنا ، ولا ينقد لنا ما في  
السموات والأرض ، إلا بأهلوم ، التي يرعم أعداء الدين ،  
وبعض المستمين إليه ، أنهم تناقصه أو تنهضه وتعمل على هدمه ،  
ولو تفكروا قليلاً ملو أنها تشي واده في سبيل واحدة ، وتأخذ  
بباصره في كثير من المضلات ، ويشد أزره في كثير من  
الحالات .

وما أحسن ما جاء في كتاب ( التربية ) للفيلسوف  
الاسكازي ( هربرت سندر ) المتوفى سنة ثلاث وتسعين  
والف ( ١٩٠٣ م ) . قال :

« إن العلم الطبيعي لا ينافض الدين ... متى اتفق العلم  
والدين نَمَوْا نَمَوْا صحيحاً . فالدين يسمو بامتداد حضوره وتغذية  
أصوله في رياض العلم الصحيح . والعلم الصحيح يؤيد الدين  
ويشد أزره ، فيكون قوياً متيناً .... فن ذا الذي يرى مفارقة  
الدين للعلم ؟ ألا انما الم في الدين هو ترك العلم ، والطمع ، لحاط  
بب من المخلوقات .... لذلك اكرر القول بأن محالة الدين ليست  
عمي في دراسة العلم الطبيعي ، بل هي في تركه والانصراف عنه  
ألا ان التوجه للعلم الطبيعي عبادة صامتة ، وتسبيح عملي ...

ان العلم الطبيعي موافق للدين ، وهو مُقَوِّله ومؤيد من جهات  
 كثيرة . انه يري الانسان عالماً مطلقاً بحركات ثابتة جارية على  
 نظام لا تتخطاه ، وناموس لا تتمذاه . وهذا النظام يدل على  
 قوة وراية ، وحكمة أبدعته وسوته احسن تسوية . العلم  
 الطبيعي يعرف اسباب الكائنات . معرفة صحيحة ، ويعلمنا ان النتائج  
 تتبع المقدمات ، وان المسميات تتلو الانساب ، وان الثواب  
 والعقاب مرتبطان بالاعمال ارتباط المسميات بأسبابها ، فيوقن  
 الطالب حينئذ ايقاناً تاماً بها ، وان ذلك ارتقاء في معارج الكمال  
 والسعادة العليا . والعلم الطبيعي نعرفه انما بحد محدود لا  
 نتجاوزه في العلم ، فلا نتخطاه الى معرفة اسبب الاول - صانع  
 الكائنات - وحقيقته . لكنه يهدينا الى الحدود التي وقف دونها  
 ولا تتجاوزها ، فلا نصل الى كنهه ومعرفة حقيقته . . . . . اياك  
 ان تظن ان العالم الطبيعي هو من يعرف التجليل الكياني ، أو  
 يقرأ الهندسة . وانما نعي به ذلك العالم لئلا يتخذ أسس الحقائق  
 سائماً لا عالياً ، حتى يبلغ الحقيقة العليا . ومن ذا سواه يعرف الهوة  
 السحيقة الفاصلة ما بين ذلك لصانع الحكيم - الذي حل  
 الطبيعة والحياة والعقل من مظاهر ذاته - وبين العقل الآدمي  
 والفكر الانساني ؟ ان الفرق لعظيم .

ونقل ( سنسر ) في كتابه هذا ما قاله الاستاذ ( هكسلي )

وهو :

« ان العلم الطبيعي الصحيح والدين الصحيح توأمان ، اذا انفصل احدهما عن الآخر خرابا صريحا ، ومات احتفانها » اهـ

هذا ما قاله الفيلسوف ( سنسر ) . فبقارن بينه وبين ما ورد في القرآن الكريم من الآيات الكثيرة الخاتمة على النظر في الاكوان حث ، تجد كلامه كالشرح لها ، وان تكن في بينها ووضوحها وبلاغتها المعجزة - لا تحتاج الى شرح ولا بيان .

ان النزاع بين اهل الدين واهل العلم لا يزال قائما ، وما فتئا يتراميان عن قوس الشقاق ، بصوت كل جيش منها الى الآخر سهام النقد والطعن . ولم يخل من هذا الصراع عصر من العصور منذ عرف الناس الدين وعرفوا العلم .

#### ٤ - حقيقة النزاع بين العلم والدين :

وليس هذا النزاع قائما بين العلم والدين . بل هو بين العلم وما ألفة الناس من لمعات ، وان يكن لاكثره صلة بالدين . وذلك خلق طبيعي في نفوس البشر ، فانها تشور على كل جديد ، وتستعين بكل ما أوتيته من قوة للفضاء على رأي عامي يحدث ،



وان كان معه من البراهين ما ليس في متناول المعاند ان يُدحضه  
فاذا طلب اليها أن تنظر في هذا الحديد باسطر المحرد عن الهوى،  
وعن المألوف من العقائد والمعادن، ففرت من ذلك نفور من  
يرى لها تناسب اليه، وقد اندلعت ألسنتها نحوه، فلا يفكر  
بوسيلة تدفع عنه اذاها، ولا في الهرب من طريقها ولو أنصف  
لصمد لها، عاملاً على دفع اذاها بكل ما يستطيع من قوة،  
إذ رأى كان وراءها خير يؤتاها.

وهكذا يتمكّن الحديد من احتلال ما حلا عنه القديم.  
فلا يزال لقديم يسكنه، والجديد يطرده، حتى يقضي عليه.  
هذا هو الشأن بين العلم والدين:

يظن سبيل الحديد من العلم والأخلاق على حصول الدين  
والأخلاق. فلا يزال يُلجج عليها بأشدة، ويلحف في الاقتحام.  
فإن رأى في طريقه قوة ومنعة وشدة دفع، تحول عنها في  
سيره، بعد أن يوهن شيئاً من قوى حَقَّتْها، ويُحدث في  
جسمتها بعض الأحداث. وينشط أهلها إلى إصلاح ما أثارته  
رُبُّ الأحداث. ثم انهم - ولا بُدَّ - ناظرون إلى حقيقة ما طرأ  
عليهم، وإلى أنه هل كان ضرراً كاه؟ فإن وراء الشر خيراً، وإن

مع الضرر لنفما ، فحينئذ يستفيدون من خيره ، ويقضون على ما  
ترك من شره .

وهكذا يكون أهل العقل من حفظة الدين القويم وحراسة  
الأخلاق العاضلة . وهكذا يكون أسلوب الانتفاع من الجديد  
ونهج المحافظة على القديم .

وان رأى هذا السيل — من جديد العلم والأخلاق —  
عطيطاً من خزنتها ، وجساً من حراسها ، جرحها حتى يتركها أثراً  
بعد عين . وهما الطامة الكبرى ، والاية المظمية . وهذا ما نحن  
فيه . وما نحن اولا . نعين مقومات مفاسده ولاوائه ، ونُفحس  
سوء آثاره ووطأة ضررائه .

وقد كان من رحمة الله بعباده — حفظاً لدين الحق — ان  
جعل في كل عصر من علماء الدين من يعتمد لهذه الدار ، وامامه  
من وسائل الاطباء ما يقضي به على شرورها ، وعن يمينه وشماله  
من لقوى ما يمكنه من استخدام هذا الشر للخير والمصاحبة لعمامة .  
وكان من كرمه ، سبحانه ، ان نصب لرد عواذي ذلك السيل  
حراساً أقوياء ، وحفاظاً امعاءً — يدفعونه — عما اوتوا من قوة في  
اليقين ، وبسطة في العلم ، ورجاحة في العقل — عن العيث في  
الامة فساداً ، ويحولونه الى خيرها وسعادتها وتهذيبها واصلاحها .

٥- هل بين الدين والعلم من عداوة ؟

ليس بين العلم والدين ما يصح ان يسمى عداوة . وربما كان بين ما هو من لطايات في الدين ، وما هو من الطايات في العلم ، جدال ونضال ، يطمئن تارة ، ويصتولان تارة اخرى ، بحسب قوة احدهما وضعف الآخر . اما بين ما هو قطعي في الدين ، وما هو قطعي في العلم ، فلا جدال ولا نضال ، ولا تنادي ولا تساحر .

ظني الدين وطني العلم ، كلاهما ليس منياً على اليقين المقطوع بصحته ، وانه هكذا لا محالة . وانما يكون بحسب الظاهر ، أو الدليل غير القطعي في الاول ، وبحسب بعض التجارب ، او النظريات الضعيفة او القوية في الآخر . فالجدال بينهما ، انما هو في امر لم يبلغ مبلغ اليقين الجرم . والنضال ، انما هو من عصية كل واحد منهما لقضية ظنية عنده ، ليست من الامر المقطوع به ، والذي لا يعتريه الشك ، ولا يأتيه القرض من بين يديه ولا من خلفه .

ان بعض ما يتمسك به اهل الدين ، ويلاحون فيه اهل العلم ، ظني الدلالة ، وان كان قطعي المورد . وبعضه ظني الدلالة

والمورد . ومعضه قطعي الدلالة ، طئي المورد . فلا يصح ان يكون . كان كذلك امرأ لا محيد عنه ، بحسب التسليم بما يعطيه ظاهره تسليماً مطلقاً . وقد اختلف العلماء في أويل ذلك اختلافاً كثيراً . وزيف كل واحد منهم رأي الآخر فيه . ومن هنا جاء اختلاف أئمة الدين في كثير من القضايا ، التي نستند الى ما كان طئي الدلالة او لمورد . وما كان اختلاصهم هذا بتحررهم من الدين . وان بين احدهم والآخر من الاختلاف في الرأي والفهم — ما يعرفه المطلع على مذاهم ، وما اختلفوا فيه من القضايا التي يخطئها العد ، ولا يقوى عليها الحصر .

وكذلك بعض ما يتمسك به أهل العلم ، وبخاصمون فيه أهل الدين ، هو طئي من الطيات ، التي لا يُطَن أنه يرقى عليها . ومن تلع فيه مبلغ ليقين ، الذي لا تحوم حوله الشبهات : « ما شهدتم خلق السموات والأرض ولا خلق انفسهم » .

وبعض القضايا الدينية ، وبعض القضايا العلمية . التي يدافع عنها هؤلاء ، واولئك — إن هي إلا تطهيرات ، يصح أن تقبل بتطهيرات مثاب قوة ، وان اشتهرت تلك اشتهاراً كاد يلحقها بالامر لكائن الواقع . وهي في الحقيقة لم تخرج عن الظن . فرعم من لم يوضحه لعلم أن ذلك امر قطعي ، غير قابل للنقض

قولٌ فاسدٌ ، ورأيٌ خاطي . . . والقد البصير لا يخرج في اعتقاده  
عن كون ذلك الامر سياً ، يحذور ان يقضه ضد آخر أقوى  
برهاناً ، وأمثال حجة .

#### ٦ - اراء الناس في العلم والدين :

الدرس من حيث الدين ، واعلم - على ثلاثة اقسام :  
قسم لا يؤمن إلا بما جاء على لسان العلم ، غير ملتفت الى  
تقطعي من قواعد العلم والفاري منها . وقد يعلم ان اليقيني منها  
قليل بالنسبة الى ما هو بطري .

وهؤلاء لم يدرسوا الدين ، ولم يطلعوا على ما فيه من الآيات  
الباهرات ، والحجج البيرات ، وما حواه من بديع الحكمة ،  
وما وعده من حليل العلم . ومن قرأ منهم شيئاً من الدين ، لم  
يتلقه من يسوعه الصافي . وانما تلقوه من بعض المعجزة ، او  
من بعض من لم يدرس منه إلا القشور ، او من كتب لا تضمن  
ولا تنفي من حوع . فاداً قرعته بالحجة الدامغة ، قال : ما كنت  
اضن ذلك في الدين . او مما جاء به الدين .

وهذا القسم - الذي لا يؤمن إلا بما يقوله العلم الكوني -  
كثير منهم مقلدون ، يرددون ما يسمعون او يقرءون . فاذا

صليت اليهم ان يشرحوا ما يعتقدون ، عرفتهم الأكمة ، وأصحبهم  
الخصر . ولا خرج عليهم ان يعجزوا ، فانما هم متمدنون أتباع .  
بل ان استذنتهم انفسهم متمدنون ايضا فيما يعلمون ، وهم لا  
يستطيعون ان يكرروا هذا .

لورجع هذا القسم الى يسوع المسيح — وهو كتاب الله  
المبرل — ودرسه حق الدرس ، ووارث يسه وبين العلم الذي  
يه شقه ، لاني ان الدين الحق ، والعلم الحق ، أخوان ، ابوها  
الحق ، وامها الحقيقة . ولكن اصراف له شقة عن درس الدين  
حق درسه ، الى درس العلم درسا محردا ، أوقعهم في هذه الورطة  
وأزلهم هذه المراءة ، مراءة السعي على الدين ، وعلى كل ما يتصل به  
من سبب :

منزلة ما خلدت ي رضى ب نفسه ذو ادب ولا حد

فاما ان يعطونا من وقتهم شيئا نعلم لكتاب المنزل ، فيروا  
انهم كانوا في انتقاصهم الدين واهمن . وإما ان يكفوا عن الطعن  
عليه واددائه ، وتنفير شباب الأمة منه ، بدعوى انه ياقض  
العلم ، واب العلم قد نسه من اساسه نسفا . وهم لم يدركوا من  
العلم الا علالة لا تشفي علة ، ولا تروي غلة ولم يعرفوا من الدين

إلا ما تعرفه المعجزة .

فها نحن أولاء ، نقول هم . أن لدين والعلم أحوان . وهذه  
براهيننا مسطورة في كتاب الله ، ناطقة بآياته ، فأنتم فاعلون ؟  
و القسم الثاني ، يكفر بآيات العلم - حتى ما كان منها عين  
اليقين - وإن لم يخالف شيء . من ذلك آيات الدين الحق . بل قد  
تورط الحشوية من هذا القسم ، فأولوا ما وافق من آياته آيات  
العلم فأويلًا سقيمًا ، كيلا ينقادوا إلى القول بما يقوله علماء الطبيعة  
أو الفلك . وكثير من هذه الأقوال - التي يطنون ، أو يطنُّ  
غيرهم ، أنها حديثة العهد - قد قال بها علماءهم الأولون .  
وذكرهم صراحة في كتبهم ، حتى في تفسير كتاب الله المبين .  
فملوا ذلك ، كما فعلت فئة منهم من قبلهم ، قالت بقدوم القرآن  
الكريم ، بقطر وحروفه - حتى عالت طائفة منهم ، فقالت بقدوم  
ورقه وجلده ومداده - كيلا تساق ، غير مخذلة ، إلى القول  
بخلق القرآن القديم ، كلام الله النفسي . وهل تعلم أن ما تقرؤه  
إنما هو ترجمان كلام الله المبني ، المنزه عن الحروف والأصوات ،  
وأنه انما يتحدد بتجدد القراءة . وكلا طرفي قصد الأمور  
ذميم . حمدا لله من الإعراط والتفريط . ووقانا من مزلق الرائل .



ودين الله ما بين المُقَصَّر والقائي ، كما ورد في بعض الآثار .

والقسم الثالث — ونحن منهم — يؤمن بما يقوله العلم الصحيح الحق . ولا يُزري عليه . ويؤمن بما جاء به الدين الحق على لسان كتابه المنزل . ويعتقد ان ليس فيه من الآيات القطعية الدلالة . ما يتعارض مع قطعيات العلم . وما عارض من طيات العلم ظنيات الدين ، فاما ان نُؤَوِّلَ طَيِّ الدين ، حتى يسبق مع ضفي العلم . وإما ان نتحمسك بظني الدين ، من غير ان نُعَكِّرَ على علمنا الكون صفةً و مباحثهم ، ونقف بعثرة في سبيل جدهم واجتهادهم . بل تصادفهم مصادحة الأخ احب ، ورثي على همهم وما يبذلون — في سبيل تحقيق مسائل العلم — من جهد ونصب .

ويعجني قول بعضهم في هذه الشأن : « ليس لنا ان نرفض كل مسألة فنية تُنسب للطبيعات ، كما يفعله بعض من يستمون للدينيات ، يراؤون بالورع ، فيشبهون الدين والعلم . وليس عاييا ان نقل كل مسألة فنية قد تكون من قبل ما ذكرنا . وما كل مسألة جرت اليها تطوافات بعض الباحثين في الفلسكيات يجب ان تُعتبر عقيدة مقدسة » .

ذلك حق ، لا مزية فيه . فلا يجوز للعالم الديني ان يشين الدين والعلم معاً تكذيب كل ما جاء به العلم . كما لا يجوز للعالم الكوني ان ينهم على ما جاء به الدين ، مما قد يراه بحسب الطاهر — محققاً لما اظهره العلم الحاضر . بل على الفريقين ان يحترما العلم والدين . فسير الديني في سبيله قائلاً . لا بد ان يحكي . يوم تحلي فيه الحقيقة ، ويذهب الزبد جفاء ، ويمكث ما ينفع الناس في الارض ، كما احلى لفظاً عن كثير من آيات الله ، كشف عن اسرارها العلم الكوني الحاضر نفسه . ويسير العلمي في طريقه قائلاً . هذا ما اوصيتني اليه وسائل لعلم العتيدة . وربما يحدث من نظريات العلم ما يعير بعض ما يراه اليوم ، كما حدث اليوم من نظرياته ما هدم بعض ما ساء بالأمس . فلعل الدين وحياً لا يستطيع اكشاه سره اليوم . وربما حدثت في المستقبل نظريات تجعل ما يراه الدين هو الصواب .

## ٧- غاية العلم وغاية الدين :

اب العلم ، يا ايها الناس ، — لم يبلغ بعد — ولن يبلغ درجة ليس وراءها درجة . هو لم ينس طفلاً في مهده . وفي كل يوم تحدث نظريات . تموت بحياتها نظريات ، وفي كل يوم يكشف العلماء .

عن ارض جديدة ، ومخلوقات جديدة ، ونجوم جديدة ، ومواد  
جديدة . وفي كل يوم يظهر للعلماء . محدث تقضي على ما اصلوه من  
اصول وفرعوه من فروع . فادارائهم في الدين ما لم يكشف عنه  
العلم ، فلا تهجموا عليه ، ولا تنقصوه . فلا بد ان يظهر سر ما تجهلون .  
فقد كان علماء الكون تنفذهم رياح الحيرة في قلوب كثير من شئون  
هذه الحياة ، وفي تفسير وفير من الحوادث الكونية ، حتى وصلوا  
الى الكشف عن بعض الاسرار . ولما وصلوا الى اكثر ما  
يبدلون وسمعهم للوعه . هم لم يزالوا في لحج الحيرة يتخطون .  
واب الدين ، يا ايها الناس ، لم يشرع إلا لتطهير النفوس بما  
الاعتقاد بالواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ،  
ولم يكن له كفواً احد . ولتقيتها من دنس الشرك ، وتهذيبها  
من شوائب الأخلاق الفاسدة ، وارشادها الى ما فيه خيرها  
ومساداتها . فلم يُزل الله على انبيائه ورسله ايضاً لئلا ينظر الناس نظريات  
العلوم ، ويسطوا لهم قواعد كيميائية وطبية والرياضيات ،  
ويشربوا لهم الأفلاك . بل كان السكوت عن هذا من رحمة  
الله ، لئلا يره دينه عن عبث العاشين . لان تلك النظريات العامة  
لا تثبت على حال ، بل يمتورها النفي والاثبات ، والنقض  
والإبرام ، أنا بعد أن . فلو جاء الدين مثل ذلك ، لكان العوبة في

أيدي الناس ، يؤمنون به اليوم ، ويكفرون به عدا ، ويصدق به من وافق هواه واتفقت نظريته مع آياته ، ويكذب به وينقضه من أدى به عقله واختاره القصد الى غير ما جاء في آياته الكريمة على ان ما جاء فيه من آيات العلم الكوني - في معرض العبرة والموعظة - ان كان صريحاً قطعي الدلالة ، فلا سبيل الى دفعه ، إذ لا يكون - في حال من الاحوال - متعارضاً مع قطعات العلم ، كما سقم عليك نبأ ذلك .

وقد ورد في الكتب المثل آيات فيها اشارات تنبي . عن اسلوب خلق السموات والارض والكواكب والانسان والحيوان والنبات والجماد . وكل ذلك لم ينكره العلم الحاضر ، بل كان هدى للقارئين ، ونوراً ضاء السبيل للمستعربين ، ومرشداً لمن يزاول فهمه وتفسيره . لكن لم يذكر فيه ما ذكر لتأصيل اصول علمية ، وتثبيت قواعد فيية . بل ذكر ذلك في سياق لمعة للاعتبار ، وفي مورد الارشاد بالاستدلال على قدرة الخالق وحكمته في مخلوقاته ، ليوجه الانسان بصيرته الى خالقه ، فيسبحه ويمجده ويمدح حق عبادته . ثم يصرف الى امر الكدح والعمل لذيابه ، مقيداً باتباع ما امر الله به على لسان انبيائه : من حب الخير ، وانتهاج سنن الفضيلة ، وسلوك سبيل الاعتدال

في حياته كلها .

لذلك ترى ما يقصه من القصص — يسوقه في تضايف  
بعض الشئون — لم يقصه مرتباً ترتيب كتب القصص والتاريخ .  
بل قد يبدأ بالقصة من آخرها ، لأن المفرد فيه . وترى أيضاً أن  
ما يذكره في سبق دلائل قدرته للعبارة — من آيات التكوين  
وكيفية الخلق — لم يذكره معطماً تنظيم كتب العلم ، المقصود  
منها ترتيب مسائله وتحقيق أصولها ، بل ذكر ذلك مشوّثاً ههنا  
وهناك ، في اثنا الموضوعات التي من أجلها أزل الله كتابه .  
فإنما ذكر في سورة للناس أمراً من العلم الكوني ، ثم ذكر  
بعده غيره مما يأتلف معه ، ثم أعاد هذا المعنى في سورة أخرى ،  
مقدماً فيها ما كان قد أخره في الأولى . والحكمة في ذلك لا تخفى  
على من يقدر بين المسابطين . وكل ذلك لم يفصل عنه أدب .  
مفترى كتاب الله . وإنما كان الأمر على ما ذكرنا ، لأن الغاية  
من ذكر القصص وآيات العلم ، ليست تأليف كتاب خاص  
بالتاريخ أو العلم ، وإنما كان ذكر ذلك لمساسات ، تمكياً للعبارة  
وتشبيهاً لموعظة ، وتوضيحاً للحكمة ، وتقوية لدليل القدرة .

وقد أدرك هذا المتأخرون من أهل الأدب — في ديار  
الغرب — الذين يؤلفون الروايات ، أو يحاصرون الناس بالموضوعات

العامة ، الى فكسهم علماً حياً شياً ، يجهلونهُ . فترى هؤلاء  
يحاضرون الناس ، فيستطردون بالنسبة الى الاستشهاد على  
موضوعهم بما يُقوي حججهم ، ويمكن كلامهم في نفوس سامعين  
او القارئین . ثم لا يكون ما يستشهدون به هو الهدف الذي  
يرمون اليه في محاضراتهم او رسائلهم ، لذلك لا يأتون به مـسـقاً  
مبتوياً ، قد رتب فيه كل شئ . في موضعه اللائق به . وقد سبقهم  
الى ذلك عسافنا في كتب الأدب والمحاضرات : ككامل المبرد ،  
وامالي القلي ، وامالي الرضى ، وغير ذلك من الكتب . وهذا  
سر من اسرار إعجاز لقرآن ، أدركه من اقتفى أثره من ادباء  
العلماء ، قبل الآن ، وفي هذا الزمان .

#### ٨ - النظمي والنظمي منه فصلاً العلم والدراسة .

ان ما كان من آيات الكتاب الكريم صريحاً في امر -  
بحيث يكون قطعي\* الدلالة عليه - قلناه قولاً ، وآمانه آماناً\*  
وان خالف نظريات العام لطبية ، كوجود العرش والكرسي  
والملائكة والجن . فقد جاء الدين صريحاً في ذلك ، فأبى به من  
طريق الخير الصادق ، الذي لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من  
خلفه . ولا سبيل الى معرفة ذلك من طريق المراصد الفلكية ،

ولا من ماهج الأقيسة العقلية ، لأنه من عالم العيب . فإذا قال  
 علم . الفن : ليس هناك عرش ولا كرسي ولا ملائكة ولا جن ،  
 لأن الآلات الرصدية لم تُبَيِّنْ ذلك ، قلنا لهم . إن عدم الوجود  
 لا يدل على عدم الوجود . وكم من كوكب جهله الأولون —  
 لعدم الوسائل الكافية — جاء من بعدهم فأثبتته . وكأين من  
 كوكب جهله من قبلكم — ممن استدرك على من قبله — جثتم  
 أنتم بمجاهرتكم فأبتموه . وسيأتي من بعدكم ، فيستدرك عليكم ما لم  
 تعرفوه . وهكذا « واليك » لي أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً .  
 وما كان من آيات العلم قطعياً لا شبهة فيه ، أم به وصدقاه ،  
 وإن خالف ما كان ظني<sup>١</sup> الدلالة في الدين ، لأن ما كان ظني<sup>٢</sup>  
 الدلالة ، معاً أنه محتمل — بظاهر لفظه — تتأويل على وجهين  
 أو أوجه . وقد صرح علماءنا عليهم الرحمة بذلك تصريحاً قطع على  
 المخترفين والخشويين كل طريق . وليس — والحمد لله — في  
 كتاب الله ، مما هو قطعي<sup>٣</sup> . دلالة ، ما يخالف قطعي<sup>٤</sup> البرهان في  
 العلم . فإما أن يكون هذا لقطعي<sup>٥</sup> في العلم مسكوناً عنه في  
 الدين ، فتؤمن به من غير ما جدال . وإما أن يكون مصرحاً  
 به فيه ، فلا يمكن أن يكون محالاً<sup>٦</sup> لما هو قطعي<sup>٧</sup> في العلم .



وما كان من طببات العلم قد سكنت عنه الدين ، فلا شيء .  
يُمنع ان يسلم به ، حتى يحجى من العلم ما يقتضيه .  
وانما مورد النزاع بين علماء الدين فيما هو صريح عند الطائفتين .  
فمنهم من يقول : نتمسك بنظي الدين ، وهو أولى . ومنهم من يقول :  
يجوز لنا ان نؤوله حتى يتلاقى مع صريح العلم . ولا حرج على من  
يقول بهذا او ذاك . وانما الحرج على من يسبقه رأي هذا او ذاك .  
وان نفي مطمنة الى ما يذهب اليه الفريق الاول ، من غير  
ان اذمى على الفريق الآخر رأيه وما يذهب اليه .

### وهناك مثالا على ذلك :

العلم لا يثبت ان هناك شيئا يسمى سماء غير هذه  
الكواكب ، لأن ما لديه من الوسائل لا يصمد به في المعرفة  
الى اكثر مما وصل اليه . فاعنده من الآلات والمراصد . وهذا  
لا يمنع ان يكون هناك - غير هذه الكواكب - سموات ،  
لكل سماء منها مجموعة من هذه الكواكب . وقد جاء ظاهر  
الآيات بوجود سموات سبع مربية بالكواكب . وهذا لا يمنع  
ايضا ان يكون المراد بالسموات امهات الكواكب ، ويكون  
ما يتبع هذه الامهات - من الكواكب التابعة لها - ذرية لها .

ومن علمت الأوبن من اشار الى ان هذه الافلاك - او امهات  
الكواكب - هي السماوات . ومهم الامراء الرازي في تفسير  
سورة البقرة ، عند قوله تعالى « حاق بكم ما في الأرض  
جميعاً ، ثم استوى على السماء » . فوجود سماوات غير هذه الافلاك  
او عدمه ، ليس قطعياً في الدين ، ولا في علم .

اما انا فأقول ان ظاهر الآيات يحتمل على ان اعتقد ان  
السماوات - التي لم تهتد اليها المرصد و المجهر - هي غير امهات  
لافلاك . وهذا لا يدعو الى ان اشيع على من يقول بعير  
هذا لقول . فلكل وجهة هو موجه .  
واليك مثالا آخر :

ظاهر الآيات يدل على ان السماوات - او امهات الافلاك  
سبع . والعلم يقول . انها اكثر من ذلك . وقد حرج الرازي في  
تفسيره الى ان العدد لا مفهوم له . ( وهذا معروف في اساليب  
اللغة العربية ) فكأنه يقول لا حرج على من يقول انها اكثر  
من سبع ، لأن العدد لا تتعبد دلالة على كمية محدودة . فان  
كانت السماوات اكثر من سبع ، هـ سبع منها . ولكن لا يجوز  
ان تكون اقل . اما انا فأقول . - بناء على اعتقادي ان السماوات

غير هذه لأفلاك - إنها سبعٌ شعاً لظاهر أقرآن الكريم . ومن  
قال : ان الأفلاك هي السماوات ، فله ان يوحه الآية توحياً  
آخر لم يتَّبعه اليه ارازي ، وذات أن من عادة العرب انهم اذا  
ارادوا ان يبالغوا في العدد ، دكروا السبعة ، او السبعين ، او  
سبع المئة ، وسعة الآلاف ، ونحوها ، يريدون بذلك الكثرة ،  
لا حقيقة هذه الاعداد . وعلى هذا قوله تعالى . « ان تستغفر لهم  
سبعين مرة فنن يغفر الله لهم » . فهو لا يريد حقيقة السبعين ،  
وانما أراد لكثرة في الاستغفار ، كما يعرف ذلك من راول كلام  
العرب وعرف اساليبهم .

وحلاصة القول ان القضايا ست :

ما هو قطعي في الدين والعلم . فهذا لا حدال فيه .

وما هو ظني في العلم والدين . من علماء الدين من يتمسك  
بظني الدين . ومنهم من يتمسك بظني العلم ، ويؤول ظني الدين .  
وما هو قطعي في العلم ظني في الدين . فهذا يؤمن به ،  
ويؤول ظني الدين .

وما هو ظني في العلم ، وقد سكنت عنه الدين . فهذا نساه به .  
وما هو قطعي في الدين ، غير ثابت في العلم . فهذا يؤمن

به إيماناً صادقاً ، وإن لم يُثبت العلم إلا أن العلم لم يصل إلى الكشف  
عن كل شيء . ، ولم يسع دروة ما فوق دروة . و علمت أنفسهم  
لا يجردون أن يقولوا . كشف ما استار عن عالم لغيب .

وما هو قطعي في الدين ، حي في العلم . وهذا يقطع بأنه  
واقع لا ريب فيه ، وإن قال أعلم أنه يسع درجة اليقين .

و تفصيل هذه القضايا المستخرج إلى أن يورد برسلة خاصة  
به . فليس هذا موضعه . وفي هذه الآلية لمعة مما يكثر الخدال  
فيه ، لأنه طي في العلم والدين . وهو اختلاف أهل الدين  
و العلم في تكوين العلم .

#### ٩ فليس العلم وما علم الله صريحا أولا :

يرى بعض الدينيين أن خلق الأرض سابق على خلق السموات  
والشمس وغيرها من الكواكب ، وإن السموات وما يتبعها  
من الكواكب متأخرة في التكوين عن الأرض . لأنه يرى  
ظواهر النصوص الدينية قد تعقت بذلك . لكنه لا يجزم بأن  
ما حُجج إليه أمر قطعي . فلا يجمع أن يكون الأمر بالعكس ،  
وإن الأرض منفصلة عن السماء أو عن الشمس .

ولا ريب أن ذلك كلمة أمور ظنية ، لا حرج على من يقول

بواحد منها . ولكن الامر الثالث في العلم والدين هو ان هذه  
 العوالم تسرها كانت مده واحدة ، شاء ربك ان يقسمها بقدرته  
 الى عوالم لا تحصى ، لا هو . وان هذه المادة هي الماء : « وكان  
 عرشه على الماء » . وان هذا الماء قد تحول بعصه الى مادة سماها  
 الله « دحان » . وقد سمره العما . به بحر منى — وسماها العلم  
 « سديا » . وكلاهما اسمان لمسمى واحد . وانه من هذا الدخان  
 — او السديم — ووجد الله العوالم على اختلافها . فقد خلقها خلقاً  
 اولياً باحراجها في مادة الدحان — او السديم — ثم خلقها خلقاً  
 ثانياً ، تكويها كمية كنه . ثم خلقها خلقاً ثالثاً : تنظيمها عالمًا  
 عالم . وهكذا الى ما اراده سبحانه من تكيف هذه  
 العوالم بالكميات التي اقتضتها حكمته لارينة قال تعالى .

« أولم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقاً ،  
 ففتقنهما ؟ اوحدهم من الماء كل شيء حي » . افلا يؤمنون ؟

فقد فصل الله هذه المادة المتحدة تفصيلاً ، وكون منها  
 هذه العوالم . وقد خلقها واحد ، ثم خلقها تخبثاً ، وكونها على  
 ما اقتضته حكمته تكويها . مشأ بعضها من بعض . فالخلق  
 واحد ، وتحقيق مختلف في الكيفية والكمية والزمان وهذا

ما يُشير إليه الآيات الدالة على خلق الأرض والسموات في  
سبعة أيام : « وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » .

قال ابن كثير في تفسيره : « كان الجميع متصلاً بمصه بعض  
في ابتداء الامر ففتق هذه من هذه » . وقال السعوي في  
تفسيره : « قال ابن عباس والضحاك وقتادة . « كانتا شيئاً واحداً  
مُتَرَتِّتين ، ففتق بينهما ما هو . » والرتق في اللغة : لسد .  
ولفتق : الشق .

وانما آثرت لقل عليها لأنها أكثر ما يعيان بقل التفسير  
المأثور عن سلف الأمة .

فلا خلاف في ان المادة قد حنفها الله اولاً . ثم خلقها تحقيقاً  
اقتضاه علمه لقديم . فلا يصل خلق الله الأرض اولاً ثم السماء ،  
او بالعكس ، علي معنى انه أوجد مادة هذه قبل مادة هذه . فان  
مادتها موحودة بحلقه إياها سبحانه قبل تكوينا وتخليقها .  
فالخلاف يسفي ان يكون في يها كونه الله اولاً ، حتى جعله  
في هيئته التي هو عليها . وهذا برالق الأفهام . ونحن لا يضرنا  
شيء من ذلك نسب . والله ما أشهدنا خلق السموات والأرض  
ولا خلق أنفسنا .

والذي يدل عليه ظاهر القرآن الكريم ان الله بدأ بتخليق الأرض بعض التحقيق ، بعد ان فصلها عن المجموعة الكونية - وهي الدحار ، او السديم - ثم قصد الى تخليق السماوات ، ثم بعد ذلك قصد الى تخليق الأرض ، فدحاه ، وحملها ثمدة للسكنى ، قابلة لظهور احياء عليا ، كل ذلك مفهوم من ظواهر الآتي الكريمية ، وبه يقول جمهور علماء الأمة الإسلامية .

فدحو الأرض كان بعد تخليق السماوات وما فيها من الأفلاك - وللدحو تحديق - بعض التحقيق كالفل السديم متخليق السماوات وكل ذلك مفهوم من قوله تعالى ( في سورة لقرة ) :  
 " هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ، ثم استوى الى السموات فسواهن سبع سموات " وهو بكل خلق عليم "  
 ومن قوله ( في سورة حم السجدة ) :

" قل : أنكم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ، وتجعلون له أئداً ؟ ! دح رب العالمين - وحمل فيها رواسي من فوقه ، وبارك فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسانلين - ثم استوى الى السموات ، وهي دحار - فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً او كرهاً " قالت : أتيت طائعين "

ومن قوله ( في سورة النازعات ) :

« أَزْنَمُ أَشَدُّ حَقًّا مِ السَّمَاءِ » بِأَها ، رَفَعَ سَمَكُها قَسْوَأَها ،  
وَاعْطَشَ يَدُها ، وَأُخْرِجَ ضَعْفُها ، وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ،  
أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءً وَمَرْعىً ، وَاجْتَبَالَ أَرْضَها مَتاعاً بَكْمِ وَلَا نِعَامَ بَكْمِ »  
فقوله تعالى : « ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ » يدل على أن مادة  
السَّهْوَتِ كانت مخلوقة قبل تحريكها ، لأنها هي والأرض كانتا  
مادة رتقا ففتقا ، كما نشعرنا بذلك قوله تعالى : « كَانَتَا رَتْقًا  
فَفَتَقْنَاهُ » وقد ذكرناه من قبل واسطر الآب في ظاهر معنى  
هذه الآيات :

فقد هي آيات ( المقررة ) واضحة ( سجدته ) يدل على أن  
بدء تحريك الأرض بعض التحريك كان قبل تحريك السماوات .  
وظاهر آيات ( النازعات ) يوضح ذلك ، ويدل على أن بدء التحريك  
للأرض سابق على تحريك السماوات . فقد كون الأرض أولاً  
من هذه المادة الدُّعْمانية - التي كانت هي ومادة السماء كتلة  
واحدة - ثم حثق السماء وتكوَّن . ثم عاد فدحا الأرض لتكوَّن  
صالحة للحياة فيها . بأن أخرج منها ماءً ومَرْعىً ، وأرسي فيها



الجلال ، التي بها تتوارى حركاتها . هذا ما عليه جمهور المفسرين .  
وهو ما نقل عن ابن عباس .

كل ذلك ويس في أسلوب القرآن الكريم دليل يقطع بأن  
التخليق كان على هذا الترتيب . وإنما هو دليل ظني يفهم من  
ظواهر الآيات . إذ يجوز أن تكون القلبية والسعدية -  
المستفادتان من بَعْطِي «معدو ثم» - هما قايمة الذِّكْر وبعديته ،  
لأقلية الزمان وبعديته . وهذا ما لوف في كلام العرب والعجم ،  
كما قال جماعة من المفسرين . كأن نقول : « فعلت كذا وكذا ،  
ثم - أو بعد ذلك - فعل كذا وكذا » ، لا تريد بذلك لترتيب  
الزمان ، فقد يكون ما ذكرته متأخراً قد فعلته أولاً . وتكون  
عائتك حينئذٍ بسرد ما فعلت وأنواع ما فعلت ، لا أنك ترمي  
إلى زمان ما فعلت ، ولا إلى ذكره مرتين .

وعلى ذلك يكون ما سرده الله في هذا الشأن في سور  
محمدة - على سبيل لعمرة ولموعظة - من حكمته المعجزة ،  
لأنه يعلم أن الألفاظ تختلف ، وآراء علماء الكون تتضارب .  
فهم يذكر آيات الحق بأسلوب قاصع ، كيلا يتعرض كلامه سبحانه  
لطغى الماخذين ، ولزراية عليه من حملة المتعلمين ، وثلايكون

مشاراً للشهات والمطاعين ، كما انتفض رأي ، وحل مكانه رأي آخر ، وهذا ما بين الله به . فكلامه عز وجل ، فوق الآراء المتصارعة ، وفوق لأفهام متناقضة . « لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه » تنزيه من حكيم حميد .

قلنا : إن دلالة هذه الآيات على ريب هذا لتحليق صبية لا قعامة . وله كانت قطعية ١ . حنك علماء الإسلام في ذلك ، فان منهم من توفى ، كما روي . ومنهم من قال - كة تل وقتادة - ان خلق السماء مقدم على خلق الأرض ، دحواها وهما ما من اليد الانوسية ، في تسميره ( سورة الدعات ) حيث قال . « ولدي أمبل إليه أن يسويه السماء ، ما فيها سفة على تسوية الأرض ، ما هي » ظهور أمر لمية في الأحرام العلوية وأمر الملوئية في الأحرام السفلية . ثم قال : « والله أعلم بحقيقة الحال » . ونحن نقول انص : « الله أعلم بالواقع » ، مرددين قوله تعالى : « ما أشهدهم بحق السموات والأرض ، ولا خلق أنفسهم . وما كنت متخذ المضائق عضداً » .

أقول - والحق أحق أن يتبع - . إن كتاب الله ليس بكتاب عايتة شرح العلوم الكونية ، وتفاصيل أصولها ، وذكر

موضوعاتٍ مُرتَّبةٌ مُسَقَّةٌ . بل العدة من مث هذه المسائل في  
تضاعيف الآيات ، وفي سُورٍ مجلدة ، إنما هو العظة والعبرة ،  
والحثُّ على النظر في الأكوان ، وسوقُ النفوس للتأمل في  
ملكوت الله القادر العليم الحكيم . وهو م يُعْنَى بذكر الخلق  
وتكوين العوالم على سلوب الكتب العلمية ، التي تُؤلف لهذا  
الغرض .

أما كوز الأرض مفصَّله عن السماء ، أو عن الشمس ،  
أو بالعكس ، فهذا شيء لم تعرَّض له الدين بأسلوب صريح  
قطعي . وإنَّ عرَّف الكتابُ الكريم أن ذلك كله كان شيئاً  
واحدً رتقاً ففتقه ، وكون منه عدة العوالم ، أرضها وسماؤها  
وكواكبها . غير أن العقل يقضي بأن يكون الشيء الصغير  
مشتقاً من أكبر منه . فتكون المادة الأصلية قد انفصل منها  
حرم صغير سماه الله « ارضاً » ، والحرم الكبير الذي كان  
متحداً معه ذلك الحرم الصغير ، سماه « سماءً » . ثم قسمه إلى  
عوالم أُحر ، منها الكواكب التي عُرِفَتْ ، والكواكب التي لم  
تُعرف . وفي ضمن ذلك المجموعة شمسية . وقد انضمت  
الأرض إليها بعد ذلك بالجذب . ويجوز أن يكون قد انفصل

عنها كتلة عظيمة يصير اليها بحر ، ولم نطأها المراسد ، وهي  
 التي سماها الله « لسبوت » . ويجوز ان يصكون الأمر - كما  
 يقول العلم الحاضر - ان قد انفصلت عن كتلة الأم - أي  
 الدخان و السديم - كتلة كانت منها مادة المجموعة الشمسية ،  
 ثم انفصلت عن هذه كتلة كانت منها الأرض وغيرها ، مما  
 هو تابع للنظام الشمسي . ثم كان التبعيق و لتكوين على النحو  
 الذي قدمنا ، أو على نحو آخر ، مما لا يجوز لقطع به . فعلى هذا  
 وذلك تكون السماء - و هذه الأصدية كبرى ، التي اشتقت  
 منها لأرض - أم الأرض وغيرها من لعوالم السحابة في هذا  
 البحر الآلهي .

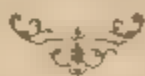
وأما دعوى بعضهم ، أن في الأرض عناصر ليس في  
 الشمس ، وأن ذلك قد يوجب القول بأن الشمس منفصلة عن  
 الأرض ، ريادة عناصر هذه عن تلك ، وهذا لا يدل على  
 المدعى ، بلو أن يكون حدوث هذه العناصر في بعد انفصالها  
 عن الشمس ، كما يكون في الأنس ، خصائص لا تكون في  
 الآباء ، وكما تكون في الثمر من رية لا تكون في الشجر ، وإن  
 في الثمر معنى ليس في العنب .

عنى كل ذلك امور افتراضه و نصيبات . و للدين لم  
يقر فاعدة واضحة في هذه الانفصالات ، لأنه لم يأت لتحقيق  
المسائل لفقه الأصول عقيمة . و متاحا هداية البشر و ارشادهم  
و تهذيب نفوسهم . و لم يذكر الا كواكب لا يزداد الانسان اتقاناً  
بربه خالقها و مبدعها الحكيم ، مُبْصِر الحية ، الخير و الردي ،  
الكريم الرؤوف الرحيم .

هذا ما أردت ايجازه في هذه المجالفة . وقد احتلست  
الوقت في كتابتها اختلاساً .

والحمد لله أولاً و آخراً .

في ١٥ من شعبات سنة ١٣٤٩  
بيروت : الموافق ١ كانون الآخر سنة ١٩٣١



## نخبة من مطبوعاتنا

نظرات في السفور والحجاب

للشيخ مصطفى العلابي

في نقد كتاب السفور والحجاب

نظرات في الأدب واللغة

له أيضاً

في النقد اللغوي، ومباحث في أصول اللغة

بطل الريف

والأمير عبد الحكيم الشاذلي على الاستعداد

تعريب الاسد عمر ابو النصر

العراق الجديد

له أيضاً

في تطوره الحديث

## التصوف عند العرب

صورة حلية لمذهب صوفي العربي الاسلامي  
تأليف لاساد جيور عبد النور

---

## الاسلام دين الانسانية

تأليف مولانا محمد علي الهندي ارفعيم المشهور  
وعرفت السيدة حسنة ثمانيت يكن

---

## حسنة الرمان ، وقصص عربية اخرى

بقلم الاستاذ دريش خوري

## تركيا الحديثة

في تاريخ الترك قديما وحديثا  
تأليف فؤاد التتاي

---

## الثقافة

ما هي الثقافة ؟

وأين تكون ؟

وعمن تؤخذ ؟

تأليف الشيخ وأغب القباني

العالم في كتاب (جزآن)

هو كتاب الفرد، وكتاب الجماعة

العروة الوثقى

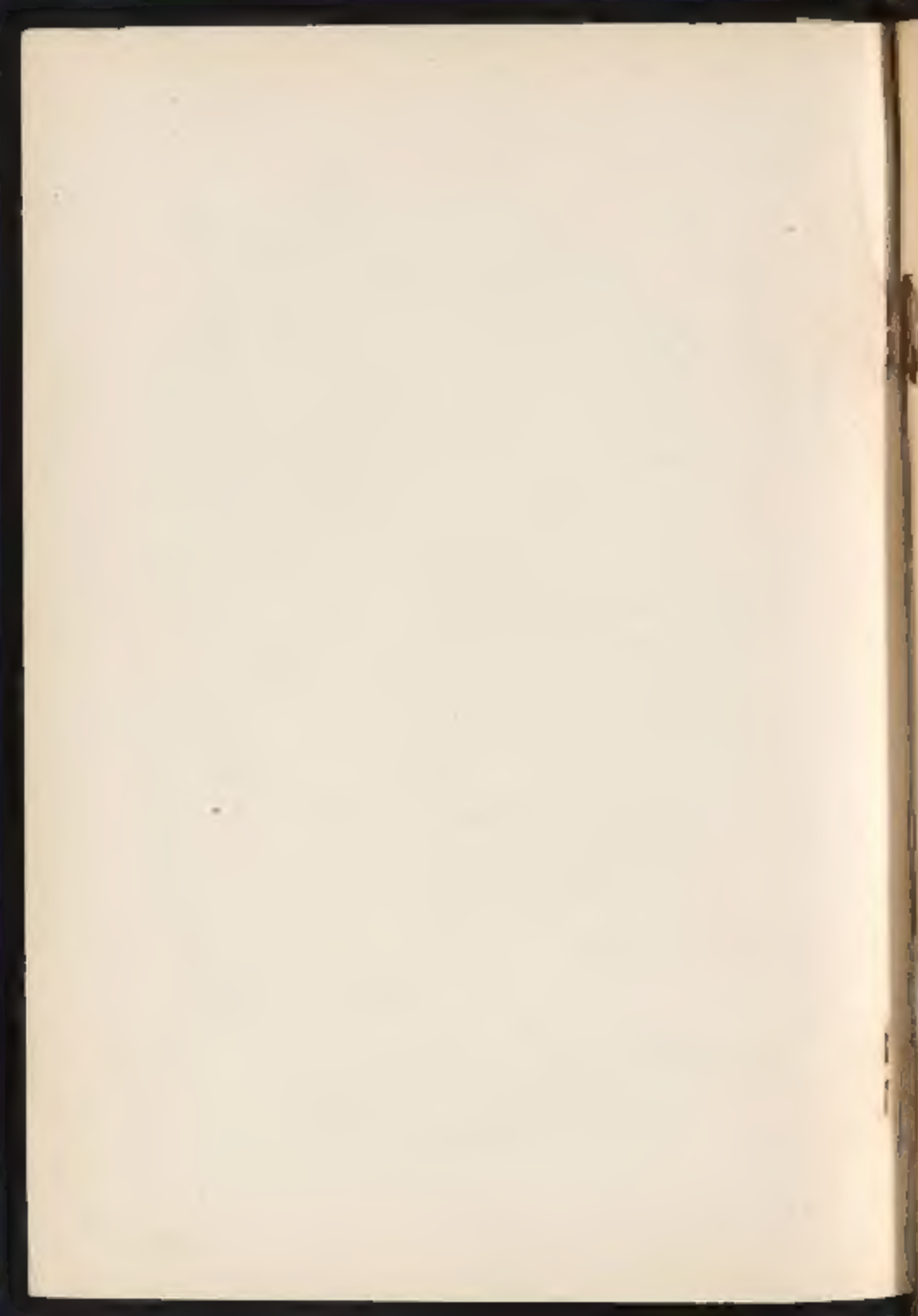
للسيدتين العظيمين : جمال الدين الافغاني و الشيخ محمد عبده

رحمهما الله

الكتاب الصالح

فتح جديد في مسالك والمكاشفة





نيسب الاختيار

# الشعر الصوفي

المطبع

ابن الفارض

السبع الاكبر

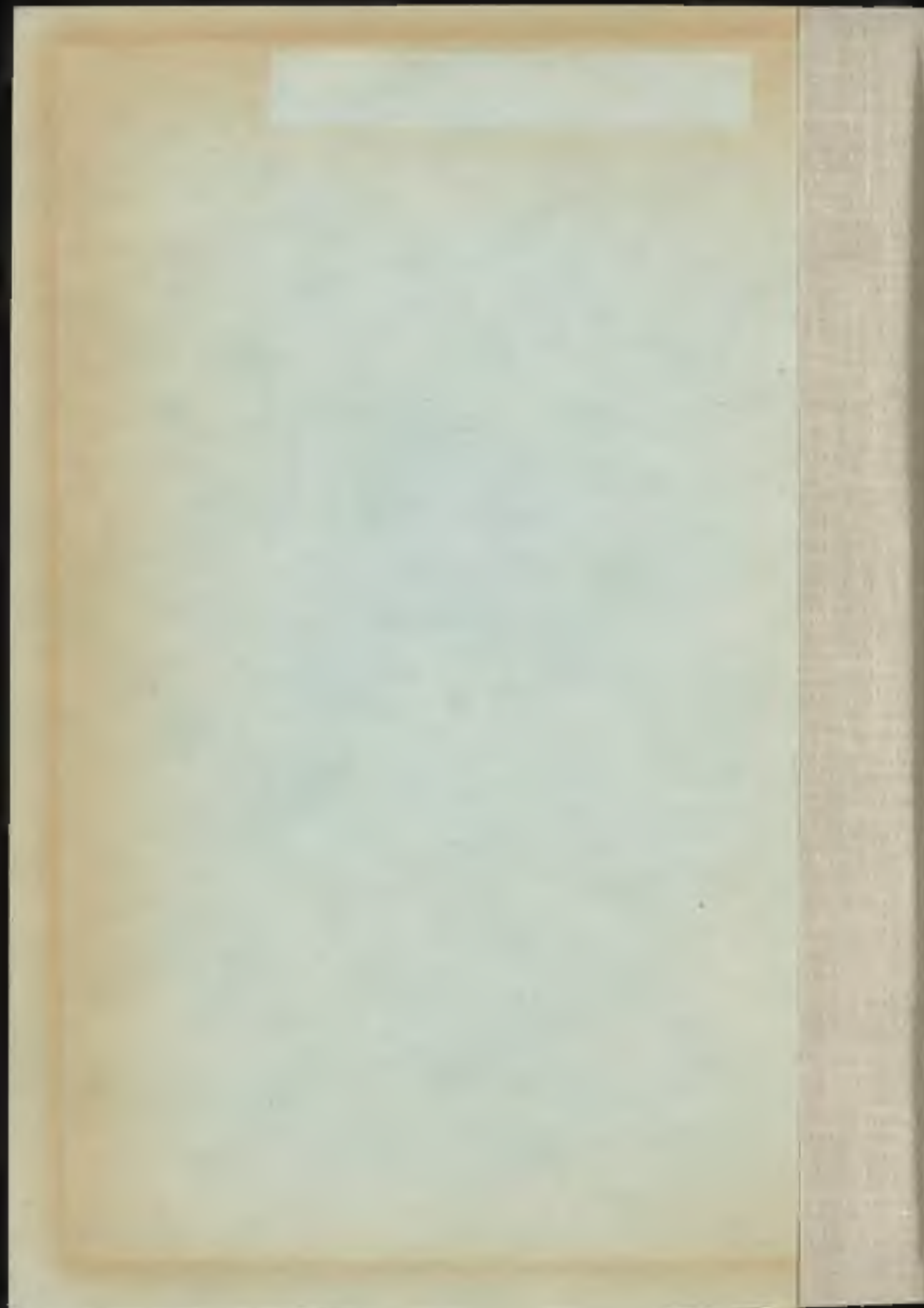
رابعة العذوبة

المهر وردي

المكتبة الاممية • في بيروت

المطبعة العصرية  
للاطباعة والنشر

N. Y. U. LIBRARY



NVLJ - ROEST



31142 00179 6682

LA99 .G5

at-Dir eng-